

الاقتراب الشبكي للظواهر الاجتماعية كالاتجاه نظري جديد في علم الاجتماع الحضري

الأستاذ: عبد الكريم ياسف

ملحق بالبحث بمركز البحث في الاقتصاد المطبق للتنمية

قسم: التنمية البشرية و الاقتصاد الاجتماعي

فريق: الديناميكيات الحضرية

مقدمة :

تعتبر الحياة الاجتماعية في المدينة نسيجاً متشابكاً من العلاقات المعقدة، الناتجة عن تجمع أفراد وجماعات من بيئات وفئات وانتماءات مختلفة ، وينجم عن هذا التفاعل المستمر ممارسات اجتماعية متنوعة نتيجة تأثير الأفراد في بعضهم البعض بصورة مباشرة وغير مباشرة من خلال المعاملات والعلاقات التي تربطهم .

وقد جرت عدة محاولات لفهم الظواهر الاجتماعية في الوسط الحضري، ولكن مع تطور الحياة الحضرية وازدياد حجمها وتعقد حياتها، حدث نوع من العجز في تقديم صورة كافية وفهم سليم لمجتمع المدينة جراء استعمال مفاهيم كلاسيكية في علم الاجتماع عامة وعلم الاجتماع الحضري خاصة لمواكبة التطورات التي تشهدها المجتمعات الحضرية.¹

لذلك اتجهت الأنظار، ومنذ حوالي 40 سنة إلى مفاهيم جديدة مثل "الشبكات الاجتماعية"، والتي أصبحت نقطة انطلاق جديدة للتحليل السوسيولوجي، ومع مرور الوقت اكتسب مفهوم "شبكة العلاقات الاجتماعية" بالمعنى التحليلي شعبية واسعة خلال أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين، حيث انتشر استعماله بعد إذن على نطاق واسع بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا.

هذا الانتشار راجع بالدرجة الأولى إلى إمكانية تحليل الشبكات الاجتماعية تقديم نظرة جديدة للمجتمع وذلك " بقلب المنطق المسلم به في علم الاجتماع، أي بالتركيز على العلاقات بين الأفراد الاجتماعيين بدلاً من الانطلاق بتصنيف مسبق للمجتمع على أساس أنه فئات وطبقات، حيث يفترض تحليل الشبكات الاجتماعية

استراتيجية معاكسة وهي الانطلاق من مجموعة من العلاقات الملاحظة ومن ثمة استخراج تصنيف وخريطة لبنية الجماعات... وذلك راجع إلى كون العلاقات الاجتماعية المهيكلية مصدر هام وأكثر قوة للشروح السوسيولوجية مقارنة بالإسهامات الفردية لأعضاء النسق.²

ذلك أن الناس ينتمون إلى فئات اجتماعية، ولكن ينتمون أيضا إلى شبكات علاقات، والفئات ماهي إلا انعكاس للعلاقات المبنية الرابطة بين الأفراد، وبالتالي فإن نظرية شبكات العلاقات الاجتماعية تتعارض منهجيا مع النظريات الكليانية المبنية على أساس (الجنس، الطبقة الاجتماعية، المهنة،... وغيرها من التصنيفات المسبقة لأفراد المجتمع) وتتعارض أيضا مع النماذج الفردانية التي تدرس مجموع الممارسات الفردية على أنها عقلانية.³

1- الأصول النظرية لتحليل شبكة العلاقات الاجتماعية :

إن تمثيل مجموعة معقدة من العلاقات المتبادلة في نظام اجتماعي كشبكة من العلاقات الاجتماعية ليس بأمر جديد تماما في علم الاجتماع، بل له جذور علمية قديمة، حيث من الممكن إيجاد في أعمال قورفيتش وجورج زيمل وحتى إيميل دوركايم الاهتمامات النظرية الأولى للجماعيات، وفي هذا يقول زيمل " إن محتوى العلاقات الاجتماعية يؤثر على الوجود، لكن لا يكون الفرد الاجتماعي، بينما نمط العلاقات الاجتماعية والأفعال المتبادلة تكون الفرد الاجتماعي، إذن لا يوجد مجتمع إلا حيث يوجد فعل متبادل....وعلم الاجتماع هو علم البنى والعلاقات الاجتماعية"⁴. كما يجد تحليل الشبكات الاجتماعية جذوره المباشرة في مدرسة علم الاجتماع الإمبريقي المسماة مدرسة شيكاغو، والتي اهتمت بالمبادلات بين الأفراد، بالإضافة إلى العلاقات الجماعيات المميزة للانتقال بين الريف والحضر.⁵

ثم نجد أيضا أصولا نظرية في الأنثروبولوجيا تضمنت بالأساس أعمال مدرسة "مانشستر" البريطانية، خاصة أعمال بارنر (1954) وبوت (1957). التي اهتمت بدراسة العلاقات الاجتماعية المتشابهة والمعقدة في الوسط الحضري.⁶

حيث تضمنت إسهامات بارنر في إقترانها لتحليل الشبكات باعتماده على مؤشر كثافة وانتقالية العلاقات بين الأفراد من أجل وصف وتحديد شبكة العلاقات غير الرسمية المتكونة مثلا من الأصدقاء، المعارف، الأقرباء... بالإضافة إلى دراسة بوت في دراستها الكلاسيكية الرائدة بعنوان "الأسرة وشبكة العلاقات الاجتماعية" والتي تعتبر من أهم الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية التي استعملت اتجاه

شبكة العلاقات الاجتماعية في مجال الأسرة، والتي أظهرت بصفة عامة أن أدوار الزوجين تحدد بكثافة شبكات علاقات الزوجين.

وتتميز هذا التيار في البحث بتفضيل المناهج الأنثروبولوجية أي على وصف الأفعال الفردية قبل تحديد موقف بنيوي، لذلك تعتبر مدرسة "مانشستر" البريطانية المحاولة الأولى الجادة لتحديد المميزات الواضحة للشبكات،⁷ وقد استمر تطور هذا الاتجاه ليصبح أحد أهم التيارين لتحليل الشبكات الاجتماعية.

وابتداء من السبعينات تحدد اتجاه بحث متخصص وهو الشبكات الاجتماعية، واحتل مكانا واسعا في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخلال هذا التطور ازدادت الدراسات حول الشبكات الاجتماعية، بالإضافة إلى تحسين مستمر للمناهج وتدقيق في المفاهيم .

فتبنى عدة سوسيولوجيون هذا الباراديقم أو الاتجاه النظري الجديد متخذين من ملاحظة وتحليل العلاقات والتبادلات بين الفاعلين الاجتماعيين القاعدة الأساسية للتحليل السوسيولوجي، مخالفين في ذلك السوسيولوجيا الكلاسيكية التي تعمل على تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال تصنيفات الفئات الاجتماعية، ومخالفين أيضا التفسيرات المبنية على المميزات والصفات الفردية (الفردانية المنهجية) واستطاع علم اجتماع الشبكات أن يشق طريقه كحقل معرفي مستقل في علم الاجتماع⁸ . وذلك من خلال بناء مفاهيم ومصطلحات خاصة به، كما ظهر علماء وباحثين متخصصين بهذا الحقل⁹، كما تم إنشاء معاهد ومؤسسات خاصة مثل "INSNA" (الشبكة العالمية لتحليل الشبكات الاجتماعية)، وتخصيص ندوات وملتقيات عالمية ودورية حول موضوع الشبكات مثل ملتقى Sunbelt¹⁰، بالإضافة إلى مواقع إلكترونية متخصصة على شبكة الانترنت¹¹.

وقد انبثق من كل هذا التراكم المعرفي لعلم اجتماع الشبكات، تياران للتحليل، يفسران بطرق مختلفة الاقتراب الشبكي للظواهر الاجتماعية.

الأول يسمى تيار التحليل البنوي للشبكات الاجتماعية، والثاني يطلق عليه تيار مدرسة مانشستر أو التيار الأنثروبولوجي لتحليل الشبكات، بالرغم من أن هذان التياران في تحليل الشبكات الاجتماعية يتفقان على جعل تحليل العلاقات والتبادلات بين الفاعلين الاجتماعيين القاعدة الأساسية للتحليل السوسيولوجي إلا أنهما يختلفان في نقاط معينة سندعرضها بالتفصيل .

2- التياران الأساسيان في تحليل شبكات العلاقات الاجتماعية :

أ- تيار التحليل البنوي للشبكات الاجتماعية :

يمثل تيار التحليل البنوي للشبكات الاجتماعية التيار الأكثر انتشارا في حقل علم اجتماع الشبكات. ينطلق أصحاب هذا التيار من قناعة أنه لابد من دراسة الفاعل الاجتماعي وعقلانيته كنتيجة للعلاقات التي يكونها مع الأفراد الآخرين المكونين للشبكة الاجتماعية المنتهي إليها، ولذلك يهتم أصحاب هذا التيار بدراسة الشبكات "الكاملة" أو "الكلية" أي شبكات العلاقات داخل جماعة معينة أو تنظيم محدد، يمكنهم بواسطته تعيين حدود الشبكة بالعلاقات الممكن تكونها بين أفراد هذا التنظيم. وتمثل الشبكة الكاملة نسق مغلق من العلاقات مرتبطة بنشاط ما أو هدف مشترك مثلا لمؤسسة أو المصنع أو العائلة.¹²

كما يعتبر الباحثون في التيار البنوي لتحليل الشبكات "أن أنساق القيم والمعايير تكون مستقلة تماما عن نسق العلاقات الاجتماعية"¹³ أي أنه لا يوجد تأثير تماما بين القيم والمعايير التي يتبناها الفاعل الاجتماعي وبين العلاقات الاجتماعية التي يقيمها مع الآخرين مثلا لا يوجد تأثير بين دين الفرد أو عاداته وتقاليدته وبين الأفراد والعلاقات التي يقيمها مع الأفراد الآخرين.

ويرفض أصحاب هذا التيار تماما التصنيفات والتقسيمات الكلاسيكية في علم الاجتماع كالجنس والطبقة والفئة ...، وينكرون تأثيرها، ويجعلون من بنية العلاقات المفسر الوحيد للظواهر الاجتماعية.¹⁴

إذ يقتضي على الباحث تحليل شبكة العلاقات المكونة من طرف الأفراد داخل تنظيم أو مؤسسة أو هيكلما، وترتيب هذه العلاقات من أجل فهم الطريقة التي تؤثر وتمارس بنية شبكة العلاقات الاجتماعية نوعا من الجبر على الأفعال الاجتماعية للأفراد، وتفسير هذه الأفعال في ضوء مكانته في الشبكة الاجتماعية.

وهذا الفهم لا يتم إلا من خلال معرفة الاتصالات والعلاقات داخل الشبكة ودراستها عن طريق مجموعة من الأدوات الإحصائية والرياضية.

رغم الانتشار الواسع لتيار التحليل البنوي في تحليل الشبكات الاجتماعية، فقد سجلت عليه مآخذ وانتقادات عديدة، أهمها صعوبة دراسة الشبكة الكاملة، إذ أنه من الصعب جدا " أن نعلم من أين تبدأ الشبكة الاجتماعية ولا أين تنتهي " ¹⁵ ، وإذا حصرناها في فئة معينة مرتبطة بنشاط ما أو هدف معين فهذا يعني السقوط في التصنيفات المسبقة التي ادعى أصحاب هذا التيار رفضها وإنكار تأثيرها، "وفي هذا

الجانب بالتحديد، أي تجاوز التصنيفات المسبقة، فشل التحليل البنيوي للشبكات الاجتماعية¹⁶

كما أن تركيز هذا التيار على نوع واحد من العلاقات المتعلقة بالمؤسسة أو التنظيم المدروس، فيه إهمال لتأثير العلاقات الأخرى التي يقيمها الفرد خارج هذا التنظيم، فمثلا دراسة شبكة اجتماعية لأفراد مؤسسة ما لا يأخذ بعين الاعتبار العلاقات الأخرى التي يقيمها الأفراد خارج هذه المؤسسة، كالعلاقات العائلية، وعلاقات الجيرة والصداقة، وبالتالي من الصعب فهم تأثير الشبكات عند فصلها، وذلك نظرا لتشابك شبكات العلاقات الاجتماعية.

كما أن تركيز التحليل البنيوي على الأدوات الإحصائية والرياضية والنتائج الرقمية يهمل وجهة النظر الفهمية للفاعل الاجتماعي.

ورغم هذه النقائص، حاول أصحاب التحليل البنيوي للشبكات تجاوز بعضها، فتطور وأصبح الأكثر انتشارا خاصة في دول وراء المحيط الأطلسي كالولايات المتحدة الأمريكية، كندا وبعض الدول الأوروبية، وأصبح له نظريات خاصة به، نذكر أهمها:

نظرية العالم الصغير للعالم الأمريكي في علم النفس الاجتماعي ميلغرون Stanley Milgram (1933-1984)، نظرية الثقوب البنيوية¹⁷ التي وضعها روبرت بورت (1949-) (Ronald Stuart Burt) سنة 1980، نظرية الروابط الضعيفة والروابط القوية : للعالم مارك قرانوفيتز (Mark Granovetter)(1949-)

ب- التيار الأنثروبولوجي لتحليل الشبكات الاجتماعية :

التيار الثاني لتحليل الشبكات الاجتماعية تطور في خضم أعمال الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ممثلا في مدرسة مانشستر، ابتداء من أعمال " بارنر 1954، بوت 1957، ميتشال 1969، وأعمال قريبودي 1998 " التي اهتمت بدراسة العلاقات الاجتماعية المتشابكة والمعقدة في الوسط الحضري.

يتميز هذا التيار بأداته المرجعية في تحليل الشبكات الاجتماعية، وهي الشبكات المتمحورة حول الفرد أو الشبكات الفردية «réseaux ego-centrique»¹⁸، إذ أنه بدلا من فصل أنساق العلاقات وأنساق القيم – مثلما يفعله أصحاب تيار التحليل البنيوي للشبكات- فإن الاتجاه الأنثروبولوجي لتحليل الشبكات الاجتماعية يحاول إظهار كيف تتداخل هذه الأنساق وتؤثر في بعضها البعض ولكن بحصر مستوى الملاحظة والتحليل على مستوى الأفراد.¹⁹

وفي هذا يصف قريبودي خصائص الاقتراب الأنثروبولوجي لتحليل الشبكات الاجتماعية " إن أفعال الأفراد الملاحظة، مثلها مثل أشكال العلاقات، لا ينظر إليها كثمرة للقيم والمعايير الثابتة والمستقرة، بل كنتيجة للتفاعلات الاجتماعية، حيث أن الأفعال الاجتماعية تكون محددة بخاصية السياق العام الذي ظهرت فيه." ²⁰ أي أن الأفعال وأنواع العلاقات التي يكونونها ليست النتيجة الحتمية والحصريّة لانتمائه لطبقة معينة أو لقيم ومعايير نشأ عليها، إنما هي نتيجة لتداخل وتشابك وتفاعل عوامل اجتماعية متنوعة، ابتداء بالقيم والمعايير إلى العلاقات الاجتماعية إلى المميزات والخصائص الفردية انتهاء بالسياق العام التي ظهرت فيه.

وللإحاطة بهذه الأمور تبنى أصحاب التيار الأنثروبولوجي لتحليل الشبكات الاجتماعية أداة " الشبكات الفردية" ، ويقصد بها شبكة علاقات الفرد المرتبطة به بصفة مباشرة، فبدلاً من استعمال الشبكات الكاملة كما في التيار البنوي لتحليل الشبكات الاجتماعية والمأخوذة من تنظيم أو هيكل قائم من قبل، فإن التيار الأنثروبولوجي ينطلق من الفرد ويحاول ترسيم واستخراج العلاقات التي يقيمها مع الأفراد الآخرين في المجتمع وبالتالي يكون شبكته الفردية .

وفي هذا يقول قريبودي " إن الشبكات الفردية تقدم صورة دقيقة لمختلف الأشكال التي يتكون ويتربط بها المجال الاجتماعي، حيث يحاول الباحث بواسطتها (الشبكات الفردية) تجاوز التصنيفات والتقسيمات المستعملة لتصنيف المجتمع، والتي تعتبر جزئية وغير كافية." ²¹

إن اختيار باحثي التيار الأنثروبولوجي لتحليل الشبكات الاجتماعية تركيز تحليلهم للشبكات الاجتماعية على مجموعة العلاقات للفاعل الاجتماعي (الشبكة الفردية) ليس من قبيل الصدفة أو الاعتباط، وإنما لأسباب منطقية وتحليلية، " إذ أن شبكة علاقات الفرد تعتبر الوسيلة الأساسية التي تسمح بملاحظة آليات و ميكانيزمات بناء المجال الاجتماعي في الواقع...، ومن خلال ملاحظة وتحليل بناء واستعمال الفرد لهذه العلاقات، وموارده الاجتماعية، والقيم والمعايير المختلفة، يمكن معرفة الآليات والقواعد التي تأثر على تحديد الفعل الاجتماعي." ²²

أي أنه من خلال الشبكات الفردية تظهر لنا الميكانيزمات والأساليب التي يبنها الفعل الاجتماعي، فعندما ندرس شبكة علاقات الفرد وكيفية تأسيسها واستعمالها في ضوء الإمكانيات المتاحة للفرد سواء الشخصية كالمستوى التعليمي أو القوة البدنية، أو الإمكانيات الاجتماعية كالطبقة أو الانتماء، وفي ضوء القيم والمعايير التي

يعيش بها الفرد، فمن خلال كل هذا يمكننا فهم الفعل الاجتماعي وكيف يساهم في بنائه .

وكل هذا ما كان ممكنا لولا شمولية الشبكات الفردية على عدة مجالات ومستويات معيارية وعلائقية (علاقات العائلية، العلاقات الحميمية، علاقات العمل، علاقات الحي ...) مما يسمح باختراق حدود المؤسسات، الجماعات أو الفئات الضيقة والاحتفاظ بالميزات المحلية للمجال الذي تتطور فيها لعلاقات الفردية، خاصة تلك التي تنشأ في الوسط الحضري المعقد.

ولترسيم الشبكة الفردية وتحديد أفرادها طور الباحثون أدوات وتقنيات متنوعة لتحديد أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الشبكة الفردية، أي بوضع قائمة للأفراد الذين تتكون منهم الشبكة.

ومن أهم هذه الأساليب والطرق لترسيم الحدود التجريبية للشبكات الفردية يوجد : أسلوب الملاحظة المباشرة²³، أسلوب الجرد الشخصي أو المذكرة اليومية²⁴ ولدينا أيضا أسلوب مولدات الأسماء²⁵، هذه الأخيرة هي التقنية الأكثر استعمالا في مجال التحليل الشبكي للظواهر الاجتماعية.²⁶

ومع ازدياد دراسات التحليل الأنثروبولوجي للشبكات الاجتماعية باستخدام الشبكات الفردية، تطور عدد من المفاهيم والمصطلحات الأساسية التي كونت البناء النظري لهذا الاتجاه، مثلا لكثافة، الترابط، التنوع، التكتل، والتي سمحت بوصف الخصائص الهيكلية للشبكات الفردية، وتحليل تأثير هذه المتغيرات على الظواهر الاجتماعية. ومن أهم هذه المفاهيم :

1- نوع أو نمط الشبكة فردية: والتي تحدد حسب نوع العلاقات الغالبة بين

الفرد وأعضاء شبكته الاجتماعية، كأن يغلب عليها علاقات العمل أو علاقات القرابة، أو علاقات الجيرة ²⁷

2- حجم الشبكة الفردية : نقصد بها مجموع عدد أفراد الشبكة الذي يرتبط معهم المبحوث بعلاقة ما.²⁸

3- الكثافة : هي شدة الارتباط بين أفراد الشبكة ودرجة معرفتهم ببعضهم البعض وتفاعلهم فيما بينهم فنقول مثلا أن شبكة اجتماعية كثيفة إذا كان أفراد هذه الشبكة من الأقارب، وأصدقاء وجيران، وزملاء العمل يعرفون بعضهم البعض ويتفاعلون مع بعضهم البعض.²⁹

4- تجانسية الشبكة : نقول عن الشبكة الفردية أنها متجانسة إذا كان

أفرادها متقاربون من حيث خصائصهم الفردية والاجتماعية مثل العمر،

الجنس، الفئة السوسيو مهنية، مع الفرد صاحب الشبكة.³⁰

خلاصة يمكننا القول أن التحليل الأنثروبولوجي للشبكات الاجتماعية يسمح بتحليل دور وتأثير الشبكات الاجتماعية على أفعال وطرق تفكير الفاعلين مع الإبقاء على الفرد الاجتماعي في قلب التحليل من خلال الشبكات الفردية، والأخذ بعين الاعتبار وسطه الاجتماعي المندمج فيه دون إذايته في هذا الوسط.

3- أهم الشبكات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري الجزائري :

بعد هذا الاستعراض السريع لعلم اجتماع الشبكات الذي شق طريقه كحقل معرفي مستقل في علم الاجتماع، وأهم التيارات التحليلية به، ارتأينا أن نوضح أهم الشبكات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري الجزائري، والتي تصلح كنماذج للبحوث الحضرية مستقبلا.

تتنوع الشبكات الاجتماعية للأفراد بتنوع انتماءاتهم واهتماماتهم، وكما ذكرنا سابقا لا يوجد تحديد واضح لحدود الشبكة ولا لأنواعها ولا لتقسيماتها، ولكن وبصفة عامة هناك شبه اتفاق بين الدارسين للشبكات الاجتماعية على تقسيمات نوعا ما تقليدية مبنية على أساس نوع العلاقات التي تربط أفراد الشبكة، فهناك شبكات علاقات أولية أي التي تتكون من علاقات القرابة والعائلة، وشبكات علاقات الجيران، شبكات اجتماعية خاصة بالمراهقين، شبكات علاقات العمل، الشبكات الاجتماعية الإجرامية

وفي مقالنا هذا ارتأينا أن نقسم الشبكات الاجتماعية الموجودة في المدينة الجزائرية إلى ثلاثة أنواع هي : شبكة العلاقات العائلية، شبكة العلاقات الشخصية، الشبكات الاجتماعية على الانترنت.

إن تقسيمنا هذا للشبكات الاجتماعية نابع في جزء كبير من أنماط العلاقات الاجتماعية المميزة للمجتمعات والمتعارف عليها في علم الاجتماع (بالنسبة لشبكة العلاقات العائلية والشخصية)، ونظرا لانتشار الشبكات الاجتماعية على الانترنت الذي أحدثه التطور التكنولوجي الكبير وتأثيرها الكبير على المجتمع.

ف نجد مثلا في ثنائية إيميل دوركايم (1858-1917) الشهيرة التي تقارن بين المجتمعات البسيطة القائمة على التضامن الآلي والذي يتميز بالعلاقات الأولية (القرابية) وبين

المجتمعات الصناعية الحضرية المبنية على التضامن العضوي القائم بالأساس على العلاقات الشخصية.

ونجد أيضا التصنيف الكلاسيكي للشهير لفيردينالد تونيز (1844-1936) لأنماط العلاقات الاجتماعية إلى نوعين: علاقات اجتماعية تعاطفية بين أعضاء الجماعة (الأسرة، العائلة، القبيلة) التي تسودها الإرادة الطبيعية، وعلاقات اجتماعية العمدية أو القصدية أو الرشيدة والتي تسود في المجتمعات الحضرية.³¹

ونجد أيضا تقسيم الأستاذ سليمان مظهر الذي يؤكد أن الشبكات العلاقتية في المجتمع الجزائري تتكون من نوعين متكاملين، هما الشبكات العائلية المكونة من علاقات القرابة المنحدرة من الزواج، ومن الشبكات الاجتماعية المكونة من علاقات خارجا لمنزل وهي غير قرابية.³²

دون أن ننسى الشبكات الاجتماعية على الانترنت المنتشرة حاليا في مجتمعنا التي مافتأت تزداد أهمية وتأثيرا. ولمزيد من التوضيح والتفصيل سنتحدث عن هذه الأنواع الثلاثة .

1- شبكة العلاقات العائلية :

وهي عبارة عن نسيج من العلاقات الاجتماعية القائمة على أساس الدموي أي الانحدار من أصول مشتركة، ومن علاقات الزواج والمصاهرة، ويمكن تسميتها بالعلاقات القرابية، وتتفرع شبكة العلاقات العائلية حسب درجة القرابة، فهناك قرابة من الدرجة الأولى وتتمثل في الأسرة، وقرابة من الدرجة الثانية وتتمثل في العائلة الكبيرة، وقرابة من الدرجة الثالثة حيث يحس الفرد أنه منتعي إلى جماعة القبيلة أو العشيرة، وله معهم علاقات اجتماعية.

إن اهتمامنا بهذا الصنف من الشبكات الاجتماعية راجع إلى موضوع العائلة بحد ذاتها وإلى تأثيرها الكبير في مجتمعنا، فرغم التغيرات الكبرى التي مست بنية العائلة ووحداتها القرابية المختلفة جراء التحضر والتصنيع (تفكك العائلة الممتدة، تنوية الأسر، الانتشار المكاني المتباعد للعائلة في المدينة) فقد أثبتت الدراسات السوسيولوجية استمرار العلاقات الاجتماعية العائلية واستمرار نمط العائلة الموسعة بشكل جديد من خلال التضامن الاجتماعي والتواصل القرابي بين أفراد العائلة الموسعة في المدينة.³³

لذلك لا يمكن التغاضي عن شبكة العائلة لتحليل الظواهر الاجتماعية في المدينة الجزائرية.

2- شبكة العلاقات الشخصية :

3- كون المدينة تجمع سكان كبير يجمع سكانا من مختلف الجهات والأصول والفئات الاجتماعية، هذا التنوع ينتج عنه بالضرورة نوع في العلاقات من أجل التواصل والتعايش و تبادل المصالح والتنافس، الميزة الأساسية لهذه العلاقات أنها غير عائلية، وبالتالي هي شخصية، يكونها الفرد بالاحتكاك المباشر والتعامل مع الغير بشكل مباشر وغير مباشر. هذه العلاقات الشخصية تتطور مع الوقت لتشكل شبكات علاقات متنوعة، قد تشمل علاقات الصداقة، الزمالة، الجيرة،...، قد يكون منتما لشبكة واحدة أو عدة شبكات، هذا التحكم الشخصي والحرية في اختيار هذه الشبكات تشكل ميزة أخرى من ميزات الشبكات الشخصية (على العكس من ذلك فإن الفرد في الشبكات العائلية لا يملك حرية اختيار أفرادها).

هذا التحكم وهذه الحرية تعتبر خاصية حضرية بالدرجة الأولى، نظرا لما تسمح به حياة المدينة من تحرر من القيود العائلية، ولتنوع الفئات الاجتماعية القاطنة بها. ولذلك فإن الاهتمام بالشبكات الشخصية أمر لا مناص منه في الدراسات الحضرية.

4- الشبكات الاجتماعية على الانترنت أو شبكات التواصل الاجتماعي :

مع بداية التسعينات زاد انتشار الانترنت لتغطي رقعة واسعة من العالم، هذا الانتشار كان النتيجة الحتمية " لسمة الطابع الانتشاري لأثار التكنولوجيا الجديدة، ونظرا أن المعلوماتية جزء أساسي في كل هذه الأنشطة الإنسانية، فإن كل العمليات المتعلقة بوجودنا الفردي والجماعي تتشكل مباشرة بواسطتها".³⁴

وبالتالي فقد أثرت وغيّرت التكنولوجيا بشكل عام و وسائط الاتصال و الانترنت بشكل خاص حياة المجتمعات البشرية، فحسب مانويل كاستلز (Manuel CastellsOliván) (1942-) فإن التأثير الأكثر وضوحا هو " المنطق الشبكي لأي نظام أو مجموعة من العلاقات التي تستخدم تكنولوجيا المعلومات الجديدة"³⁵ فكل وسيلة تكنولوجية جديدة تزيد من ربط الناس مع بعضهم وتشبيك العلاقات فيما بينهم، خاصة الهاتف النقال والانترنت والبريد الالكتروني وأخيرا شبكات التواصل الاجتماعي على الانترنت.

فبعد أن كانت الانترنت عند ظهورها مجرد قاعدة معلومات ووثائق علمية متاحة لكل شخص بحرية، أصبحت منذ بداية التسعينات أهم وسيلة للاتصال وتبادل

المعلومات والرسائل الالكترونية بين الأفراد في مختلف أنحاء العالم، حيث سمح بتكوين روابط اجتماعية جديدة بين الناس.³⁶

و لعل الشبكات الاجتماعية كانت المساهم الأكبر في تغيير تأثير الانترنت على المجتمع بتغييرها للعلاقات الاجتماعية بين الناس، حيث تعد هذه الشبكات التواصلية فاتحنا عهدا جديدا من العلاقات الاجتماعية.

لقد كانت بداية الشبكات الاجتماعية على الانترنت عبارة عن منتديات (les blogs) وهي عبارة عن صفحات شخصية على الانترنت أشبه ماتكون بالمذكرات الشخصية، تطورت فيما بعد لتصبح مواقع إلكترونية متخصصة تسمح لمرتاديها بتكوين صفحات خاصة حسب الهوية والأفكار المشتركة، تسمح بالتفاعل المباشر بين أفرادها بوضع التعليقات ونشر الصور والتعليقات والأخبار، وسرعان ما تحول الدور الأساسي لهذه المواقع هو إنشاء شبكات علاقات لكل فرد وتوسيعها بإيجاد أصدقاء سابقين أو تكوين علاقات جديدة لتقاسم اهتماماتهم المشتركة.³⁷

وقد تنامي عدد وحجم هذه الشبكات الاجتماعية على الانترنت بشكل بارز نتيجة التحسن التكنولوجي مما سهل قيام المستخدمين إدخال المحتويات الخاصة بهم على الشبكة وتفاعلهم مع بعضهم البعض، فمواقع مثل فايسبوك وتويتر وغيرها تمددت وتطورت من مجرد مجتمعات محصورة في أماكن محددة وفئات اجتماعية خاصة، لتنتشر وتصبح قوة فاعلة منتشرة على شبكة الانترنت، تضم في عضويتها مئات الملايين من البشر على مستوى العالم.³⁸

ويعتبر الشباب المالكين والمستخدمين والمتحكمين الفعليين في الشبكات الاجتماعية على الانترنت، والتي أصبحت أشبه ما يكون بمجتمع آخر قائم بحد ذاته.³⁹

وقد تعددت استخدامات هذه الشبكات، فهناك من يستخدمها في المجال السياسي لتعبئة الناخبين، وفي مجال الإشهار والتسويق، تستعمل أيضا لربط علاقات حميمة، البحث عن أصدقاء قدامى وغيرها.

إن هذا الانتشار الكبير لاستخدام الشبكات الاجتماعية على الانترنت طرح تساؤلات واستفسارات عديدة حول الشكل الجديد للعلاقات الاجتماعية التي تعيشها البشرية، وتساؤلات حول " المجتمع الافتراضي على شبكات التواصل الاجتماعي في الانترنت "، هذا المجتمع العابر الفئات والطبقات والثقافات والحدود.

كل هذا يحتم علينا أخذ هذه الأخذ بعين الاعتبار هذه الشبكات الاجتماعية في دراستنا، كونها تنقل وتوسع شبكة علاقات الشاب الحضري من دائرة العائلة

ومجال الحي إلى شبكات علاقاتية جديدة عابرة للجماعات والتكوينات التقليدية.

خاتمة :

تكمّن أصالة نظرية شبكات العلاقات في الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وبالتالي فهي تختلف من الاقترابات المركزة على خصائص الفاعلين الاجتماعيين فقط، إذ أن هذا الاتجاه من التحليل يأخذ بعين الاعتبار أن الأفراد لا يتصرفون بمفردهم أو لوحدهم بطريقة منعزلة، لكن يتصرفون داخل شبكة من العلاقات التي تسهل وتقيد أفعالهم في نفس الوقت.

فبدلاً من رؤية الفرد في المجتمع على أنه منعزل مطموس الهوية، لا معياري ووحيد، فإن نظرية شبكة العلاقات الاجتماعية تقترح أن النظام الاجتماعي المتغير قد استبدل مجموعة من الأواصر التي كانت تقوم على أساس الاشتراك في المنطقة السكنية الواحدة بأخرى جديدة تقوم على أساس الاشتراك في المصلحة وأيضا على أساس أن مجتمع المستقبل سيكون مجتمعا علائقيا لا إقليميا.

إن استعمال هذا الاقتراب في علم الاجتماع الحضري، أي الانتقال من تحليل الفئات الاجتماعية في المدينة إلى شبكة العلاقات الموجودة فيها يسمح بإلقاء نظرة مغايرة للظواهر الحضرية، إذ أن اعتبار العلاقات الاجتماعية في المدينة كشبكة، وأن خصائص هذه الشبكة يمكن استعمالها لتفسير بعض جوانب ممارسات الأفراد المنخرطين فيها، هذه الفكرة - بحد ذاتها - تعد ثورة في مجال التحليل السوسيولوجي للمدينة والفاعلين الاجتماعيين المتواجدين فيها، وآلية جديدة تفتح آفاق جديدة لفهم ودراسة الظواهر الاجتماعية في المدينة الجزائرية.

الهوامش:

1. - حمدوش، رشيد (2009)، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة إمتدادية أم قطيعة، الجزائر، دار هومة، ص.262.
2. - Michael, E.(2002) , « Deux traditions d'analyse des réseaux sociaux » ,in *Réseaux*, n° 115, p. 183-212.
3. - Colondomos,A. (1995), *sociologie des réseaux transnationaux, communauté, entreprises et individu : lien sociale et système internationale*, Paris,Ed le Harmattan, pp.24-25.
4. - Lacroix,M. (2003), « Littérature, analyse de réseaux et centralité : esquisse d'une théorisation du lien socialconcret en littérature »,in *Recherches sociographiques*, vol. 44, n° 3, p. 475-497.

5. - ibid .
6. - Mercklé, P. (2003-2004), « les réseaux sociaux : les origines de l'analyse des réseaux sociaux », in *CNED / ens-lsh*, http://eco.ens-lyon.fr/sociales/reseaux_merckle_03_origines.pdf, p10. Consulté le 06/11/2010
7. - Marcanti,M. (2010)**analyse des réseaux sociaux et communautés en ligne :quelles application en marketing**, in*Management & Avenir* 2/2010 (n° 32) , p. 132-153.
8. - Degenne, A.Fournier,I. (1991), Les relations au cœur du marché du travail, in *Sociétés contemporaines*, Année 1991, Volume 5, Numéro 1,pp76-78. url :http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/socco_1150-1944_1991_num_5_1_988
9. - للاطلاع على أهم المراجع والباحثين المتخصصين في علم اجتماع الشبكات يمكن الاطلاع على
Mercklé Pierre, **les réseaux sociaux conseils de lecture**,© *CNED / ens-lsh* 2003-2004,
http://eco.ens-lyon.fr/sociales/reseaux_merckle_01_biblio.pdf .
10. *-هو ملتقى عالمي يقام كل سنتين لجمع وطرح مختلف البحوث والدراسات حول مواضيع تتعلق بتحليل الشبكات الاجتماعية، بما فيها النظريات و الأساليب و التطبيقات لتحليل الشبكات الاجتماعية، آخر ملتقى كان سنة 2012 و الذي أقيم ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.
11. *- للاطلاع على أهم هذه المواقع الإلكترونية على الانترنت يمكن الاطلاع على :
Mercklé Pierre, **L'analyse des réseaux sociaux pour les nuls**, ENS Lettres & Sciences Humaines,2008, Ressources électroniques utiles,
http://socio.ens-lyon.fr/merckle/merckle_communications_2008_cargese_reseaux_nuls_biblio.pdf
12. - FRIBOURG, B. (2007), *Dynamiques des réseaux relationnels et trajectoires sociales d'usage des TIC au moment du passage à la vie adulte*, Thèse de doctorat en sociologie, Université Aix Marseille Université de Provence, p131.
13. -Michael, E. (2002), op.cit.
14. - ibid.
15. -Forsé, M. (2008),« Définir et analyser les réseaux sociaux », in *Informations sociales*, 3/2008 (n° 147), p. 10-19.
16. - Michael, E. (2002),op.cit.
17. -Burt,R .(1995) « Le capital social, les trous structuraux et l'entrepreneur », In: *Revue française de sociologie*. 1995, 36-4. Analyses de réseaux et structures relationnelles. Etudes réunies et présentées par Emmanuel Lazega. pp. 599-628.
18. *- لقد استعملنا في هذه المقالة مصطلح الشبكات المتمحورة حول الفرد أو الشبكات الفردية كترجمة لمصطلح « réseaux égocentrique » المستعمل في التيار الأنثروبولوجي لتحليل الشبكات الاجتماعية، هذه الترجمة هي اجتهاد شخصي لأنني لم أجد لها ترجمة باللغة العربية سواء في قواميس اللغة أو قواميس علم الاجتماع.
19. -Michael, E. (2002), op.cit.
20. -Bidet,J .(2003)« Espaces, Temporalités, Stratifications. Exercices sur les réseaux sociaux »,fiche de lecture, Paris, Editions de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales,http://socio.ens-lyon.fr/agregation/reseaux/reseaux_fiches_gribaoudi_1998.php

21. - ibid.
22. - ibid.
23. - Chollet,B.(2008),« L'analyse des réseaux personnels dans les organisations : quelles données utiliser ?»in *Finance Contrôle Stratégie*, volume 11, n° 1, mars 2008, p. 105 – 130.
24. - ibid.
25. - Lévesque,M.et White,D.(2001),« Capital social, capital humain et sortie de l'aide sociale pour des prestataires de longue durée », in *Canadian Journal of Sociology*, n° 26/ 2 (2001), 167-192.
26. -Berrou,J.P . « Une analyse des réseaux personnels des entrepreneurs de l'économie populaire de Bobo-Dioulasso (Burkina Faso) : choix théoriques, implications méthodologiques et premiers résultats, Journée d'études du Réseau Thématique 26 de l'Association Française de Sociologie,NOUVELLES APPROCHES, NOUVELLESTECHNIQUESEN ANALYSE DE RESEAUX SOCIAUX, pp35-66.
27. -Ferrand, A.(1991), « La confiance : des relations au réseau », In: *Sociétés contemporaines* N°5, Mars 1991. Réseaux sociaux. pp. 7-20.
28. - ibid.
29. - Fribourg, B.(2007), op.cit.
30. - ibid.
31. - الشتا، علي(2000)، *التفاعل الاجتماعي و المنظور الظاهري*، منشأة المعارف، ط 1، ص 46-45.
32. - مظهر، سليمان(2008)، *نظرية المجابهة النفسية الاجتماعية*، منشورات ثالة، الجزائر، ص 63-62.
33. - BOUTEFNOUCHET,M.(2005)، *la famille algérienne quel modèle ?*, publications de la faculté des sciences Humaines et Sociales Université d'Alger 2005-2006 , deuxièmes partie, pp 7-21.
34. - رأفت، رضوان(2002)، *"المعلوماتية في الوطن العربي، الواقع و الافاق"*، أحمد أبو الهيجاء(تنسيق)، دار المسيرة للطباعة والنشر، الأردن، ط1، ص132.
35. ¹ - نفس المرجع، ص 134.
36. - LEFEBRE ,A.(2005)، *les réseaux sociaux pivot de l'internet2.0*, M2 édition, Paris,p15.
37. - WARBESSION, K.(2009)، *Internet*, ed MICRO APPLICATION, Paris, p12 .
38. - لعقاب، محمد(2009)، *تأثير الانترنت على العمل السياسي أوباما نموذجاً*، منشورات دار الصبح، الجزائر، ص81.
39. - PISANIE,F. PIOLET, D.(2011)، *comment le web change le monde*, Ed :Pearson Education France, Parie, p 17.

